﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: 168]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كتابةُ اللهِ على المعاندين من بني إسرائيل الذِّلَّة والتّفَرُّق

عطفُ قِصَّةٍ على قصّةٍ، وهو عَوْدٌ إلى قِصص الإخبار عن أحوالهم، فيجوزُ أن يكون الكلام هنا يتحدَّثُ عن تفرُّقِهم بعد اجتماعِهم على أنّه من النِّعم، كما تَقطَّعوا اثنتي عشرة أسباطًا أُممًا. ويمكن أن يكون معطوفًا على العقوبات السَّابقة فيكون التّفرُّقُ هنا مذمومًا[1]، كأنَّه قيل: وَقَطَّعْناهُمْ أي: بسبَبِ ما حصل لهم مِن السَّبي المترتِّبِ على العذابِ تقطيعًا كثيرًا، بأنْ أكثَرْنا تَفريقَهم[2]. والظاهرُ أنّ المعنى الثاني هو المرادُ هنا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾: أَصْلُ القَطْعِ: فَصْلٌ وإبانَةُ الشَّيءِ عن شَيْءٍ آخَرَ، يُقالُ: قَطَعْتُ الشَّيْءَ أَقْطَعُهُ قَطْعًا وَقَطيعَةً، أَي: فَصَلْتُهُ، وضِدُّهُ الوَصْلُ، والقِطْعَةُ: الحِصَّةُ المَفْصولَةُ مِنْ شَيْءٍ. وَيَأْتي القَطْعُ بِمَعْنَى: الهَجْرِ والتَّفْريقِ، والتَّقاطُعُ: التَّهاجُرُ، وَمِنْ مَعاني القَطْعِ أَيْضًا: البَتُّ والقَصُّ والعُبورُ[3]. والمعنى هنا: وفرَّقنا بني إسرائيل.

2) ﴿أُمَمًا﴾: الأُمَّةُ: كُلُّ جَماعَةٍ يَجمَعُهُم أَمرٌ ما، وقيل: جَماعَةٌ مِن النّاسِ أُرْسِلَ إلَيْهِم رَسولٌ، سواءٌ آمَنوا أو كَفَروا. وتُطلَقُ الأُمَّةُ على كُلِّ مَن كان على دينٍ حقٍّ مُخالِفٍ لِسائِرِ الأديانِ فهو أُمَّة، وعلى عالِمِ دَهْرِهِ المُنفَرِدِ بِعِلمِهِ. ومِن مَعانيها: الشِّرْعَةُ والدّينُ، يُقالُ: فُلانٌ لا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 157/9.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 145/8.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قطع).

أُمَّةَ له، أيْ: لا دينَ لَهُ، وكذلك البرهةُ من الزَّمن، ويُقال لِكُلِّ جيلٍ مِنَ النّاسِ والحَيوانِ: أُمَّةٌ. والجَمعُ: أُمَمٌ[1].

والمعنى في الآية: جماعاتٍ متفرقةً.

3) ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾: يُقال: بَلِيَ الثَّوبُ بِلًى وبَلاءً، أي: خَلِقَ، وبَلَوْتُهُ: اختبرتُه كأنِّي أَخْلَقْتُه من كثرةِ اختباري له، وسُمِّيَ الغمُّ بلاءً من حيث إنه يُبلي الجسمَ، ويكون البلاءُ في الخير والشَّر. واللّٰه تعالى يُبلي العبدَ بلاءً حسنًا وبلاءً سيّئًا، وهو يرجع إلى هذا؛ لأنَّ بذلك يُخْتَبَر في صبرِه وشكرِه[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

إجـــراءُ اللـه العادةَ بتفريقِه اليهودَ في أقطار الدنيا لحكمةٍ يَعلمُها

يُخبرُ اللّٰه تعالى بأنَّ هؤلاء اليهودَ قد مَزَّقهم في الأرض شرَّ مُمزَّقٍ؛ بسبب عصيانِهم وفُسوقِهم، وصيَّرَهُم فِرَقًا متقطِّعةَ الأوصالِ، مشتَّتةَ الأهواءِ، بعد أن كانوا مجتمعينَ. ومن هؤلاء اليهود قِلّةٌ آمنت باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهم الصالحون القائمون بحقوق اللّٰه وحقوق عباده، فَصَلُحَ حالُها، وحَسُنَتْ عاقبتُها، ومنهم كثرةٌ منحطَّةٌ عن رتبة أولئك المؤمنين الصالحين، منهم المقتصِدون، ومنهم المسرِفون على أنفسهم بالمعاصي، وعاملناهم معاملة المبتَلَى الممتَحَن تارةً بالنِّعم الكثيرة كالصّحة والخِصْب وسَعةِ الأرزاقِ، وتارةً بالنِّقَم المتنوِّعةِ كالجَدْبِ والأمراضِ والشَّدائدِ؛ رجاءَ أن يَرجِعوا فَيُنيبوا عند أحدِ الابتلاءَيْنِ عمَّا هم فيه إلى طاعة ربهم، ويَتركوا ما نُهوا عنه من المعاصي والسيئات[3].

وتُرشِد الآيةُ إلى أنَّ أنواعَ العقوباتِ التي نزلتْ باليهود في مختلِف العصور والأمم، هو أنَّ اليهود هم المسؤولون عن كلِّ اضطهادٍ وقع

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النّهاية: (أمم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (بلوي، بلى).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 414/5 - 415.

بهم، وأنهم مُستَحِقُّونَ لهذه العقوباتِ: بسبب أنانيَّتِهم وأطماعِهم التي لا حدودَ لها، وبسببِ غرورِهم وتعاليهِم، فاليهود يَعتبرون أنفسَهم أبناءَ اللّه وأحِبّاءَهُ، وشعبَه المختارَ. ومن قديمِ الزمن وهم يَقسِمونَ العالمَ إلى قسمَيْنِ متقابلَيْنِ: قسمٌ إسرائيلَ وهم صفوةُ الخلق وأصحابُ الحَظْوة عند اللّه، وقسمٌ آخر يسمونه الأمم (الجوييم)، أي: غير اليهود، ومعنى (جوييم) عندهم، وَثَنيُّونَ وكَفَرةٌ وبهائمُ وأنجاسٌ.

وكذلك بسببِ عُزْلَتِهم وعصبيَّتِهم وخيانتِهم للبلاد التي آوَتْهُم، فهم متعصِّبون متحزِّبون، لا يَجمَعُهم حبُّ بعضِهم لبعضٍ، ولكن تجمعُهم كراهيةُ من ليس على مِلَّتِهم، كما يجمعُهم الحقدُ على العالم بأَسْرِه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة عطف الآية على ما تقدّمها:

الواو للعطف في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهي من عطفِ القِصَّة على القِصَّة، وهو عَوْدٌ إلى قِصص الإخبار عن أحوالهم[2].

بلاغة الاستعارة في قوله ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾:

شبّه تفريقَهم بتقطيعِهم على سبيل الاستعارة التَّصريحيّة

المُرادُ بالتَّقطيع هنا التَّفريقُ، وجاء الفعل الماضي مضعّفًا للمبالغة في شدَّة التّقطيع، وقد نقل الطبريُّ عن جماعة من المفسرين: "ما في الأرض بقعةٌ إلَّا وفيها معشر من اليهود"[3]، وهي استعارة تصريحيّة تبعيّة، شبَّه فيها تفريقَهم بالتَّقطيع بجامعِ الانفكاكِ بعد الاجتماعِ، والقَطْعُ موضوعٌ لإزالة الاتصالِ بين الأجسام التي بعضها ملتصق ببعض؛ فالجامعُ بينهما إزالةُ الاجتماعِ التي هي داخلة في مفهومها،

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 414/5 - 415.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 157/9.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 533/10.

وهي في القطْع أشد[1]. فاللّه تعالى فَرَّق بين بني إسرائيل في البلاد والأقطار، فجعل منهم أُمَمًا متفرِّقةً في مواطنها وحدودها.

بلاغةُ الالتفات مِنَ الغَيْبة إلى التَّكَلُّم:

عَوْدُ ضَمير الفاعل في: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ على الذّاتِ العَلِيَّة، وأمّا ضميرُ المفعول فيعود على الفئة المعتديّة من بني إسرائيل. وفي صَدْر هذه الآية التفاتٌ بالضمائر من الغَيْبة إلى التكلّم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: 167 - 168].

تعـرَّض بنـو إسـرائيـل عبر تـاريـخـهـم الـطَّـويـل إلى نكباتٍ وويـلاتٍ وأَسْـرٍ وقَـتْـلٍ بسبب عصيانهم وجحودهم

وغرضُ هذا الالتفات هنا إظهارُ أنَّ هذه العقوبةَ من الشدّة بمكان، بحيث استَحقَّتْ أَنْ تُسنَد إلى الذّات العليَّةِ مباشرةً بضميرِ التكلُّم، وذلك لأنّها تركتْ آثارًا ملموسةً في حياة بني إسرائيل، سجّلها التاريخ وحَفِظها لهم، فقد أدّى هذا التفرُّقُ لهم أن سَلَّط اللّه عليهم مَن مَزَّق ممالَكهم، ودَمَّر حُكْمَهم وسَباهم لقرونٍ طويلة.

معنى ﴿فِى﴾ في قوله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

(في) ظرفيّة مجازيّة، شبَّهتْ قوّةَ ملابسةِ التّقطيع إيّاهم على الأرض بإحاطتها فيهم إحاطةَ الظّرف بالمظروف.

معنى (أل) في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

يَحتمل أن يكون التّعريف للعهد أو الجنس

اللّام في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ يمكن أن تكون لامَ العهد، أي: الأرض المباركة التي أقاموا فيها، ويمكن أن تكون لامَ الجنس، والمراد من الأرض الجنس، أي: في أقطار الأرض[2]. على اعتبار كثرة ما أصابهم من تقطيعٍ في أقطار الأرض المختلفة، وهو الأظهرُ وعليه جماهير المفسِّرين؛ إذ إنَّ اليهودَ مُبَدَّدون في شرق الأرض وغربها وجنوبها وشمالها.

(1) الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: 493/3.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 157/9.

فائدةُ ذِكْرِ شبهِ الجملة الظرفيّة وتقديمها على المفعول:

ذِكْـرُ ظـرفـيّـة الأرض مُشعِرٌ بشدّة تفرّقهم فيها، ومُشعِرٌ بانقلابها إلى نِقْمةٍ عليهم

معلومٌ أنَّ هذا التّقطيعَ لهم لم يكن إلّا في الأرض، سواءٌ أكانت أرضًا محدَّدة أم في سائرِ أنحاء الأرض، ولكنّ في ذِكْر هذا القيد ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وفي تقديمه على المفعول الثاني ﴿أُمَمًا﴾ لـ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ على اعتبار أنّها مضمَّنةٌ معنى (صيَّرناهُم)، أو على كونها ﴿أُمَمًا﴾ حال[1]، ما يُشعر بشدّة هذا التّقطيع، وبأنّه ملموسٌ مشاهَدٌ لا تزال آثارُه في هذه الأرض، وبأنّهم بَدَلًا من أن تكون هذه الأرض محلَّ عمارةٍ لهم، وموضعَ تسخيرٍ لهم، صارت محلَّ تفريقٍ وتمزيقٍ وذهابٍ لبأسهم عليها.

نكتةُ تنكيرِ ﴿أُمَمًا﴾:

تنكيرُها قد يفيد التّكثيرَ أو التّعظيمَ لكثرتها وقوّتها، ويمكن من بابٍ آخر أن يفيد التّحقيرَ لهم لشدّة ضَعْفِهم بعد تَمزُّقِهم، وهو الأظهرُ.

الموقع البيانيّ والنَّحْويُّ لقوله: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾:

الجـمـلـة لـم تُـعـطـف عـلـى سابقتِها لكمالِ اتّصالها بها أو لكونها استئنافًا بيانيًّا

الجملةُ مُستَأْنَفةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ، ولم تُعطف على قوله ﴿أُمَمًا﴾ لكمال اتّصالها بها، أو لشبْهِ كمالِ هذا الاتّصال؛ فقولُه تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ صفةٌ أو بدلٌ من ﴿أُمَمًا﴾، ومعروفٌ ومقرّرٌ أنّه لا عاطَف بين التّابع والمتبوع. وإمّا أن يكون سببُ فَصْلِها أنّها جاءت جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ: كيف كان حالُ هذه الأمم؟ فجاء الجوابُ أنّهم الصالحون الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم، على قولٍ. ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مُنحَطُّون عن الصَّلاح، وهم كَفَرتُهم وفَسَقَتُهم، أي: ومنهم قومٌ دون أهل الصَّلاح.

وهذه الجملةُ الكريمةُ تدلُّ على أنَّ القرآن الكريم يستعملُ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 40/3.

الإنصافَ والعدالةَ وتقريرَ الحقائق مع أعدائه وأتباعه على السَّواء، فهو يمدحُ مَن يستحقُّ المديحَ، ويَذمُّ مَن هو أهل الذَّمِّ، وما أحوجَ النّاسَ في كلِّ زمان ومكان إلى التَّخلُّقِ بهذه الأخلاق[1].

معنى (من) في: ﴿مِّنْهُمُ﴾:

تـــأتي (مـــن) لمـعـانٍ جليلة تتعلّق بأحوال أصحابها

(من) إمّا أن تكون هنا بيانيَّةً؛ لأنّها توضّح وتبيِّنُ حالَ ما تقدَّمها، أو ابتدائيّةً، أو تبعيضيّةً؛ لأنّها تبيّن أحوالَهم على التفصيل.

غرضُ تقديم شبه الجملة: ﴿مِّنْهُمُ﴾:

تشوَّقتِ النّفوسُ بعد أشباهِ هذه الجُملِ المسنَدَة إلى مـعـرفـة المسنَدِ إليه

الغرضُ من تقديم قوله: ﴿مِّنْهُمُ﴾ في الموضعيْن؛ التشويقُ للمسنَدِ إليه الذي يأتي بعدهما في تسمية أهلِ الصلاح منهم، أو المسرِفين على أنفسهم بالمعاصي والسيئات.

معنى (ال) في ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾:

يَحتمِلُ التّعريفُ العهدَ والجنسَ

(أل) هنا جِنسيَّةٌ تستغرِقُ كلّ منِ اتّصف بالصلاح واستَحقَّ أن يكون اسمًا له، ويمكن أن تكون عهديّةً والمُراد به من تَمسّكَ بشريعة نبيّهم موسى ﷺ ومن جاء بعده من أنبيائهم.

سرّ المقابلة بين ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ و﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾:

قَـسَّـمـتِ الآيـةُ أحـوالَـهـم من حيث العلويَّةُ أوِ الدُّونيَّةُ

قابَلَ القرآنُ بين الصّالحين وبين غيرِهم بوَسْم غيرِهم بالدّونيَّةِ، دون أن يقول: الفاسدون أو المُسيؤونَ أو غير ذلك؛ للإشارة إلى أنَّ الصّالحين هم أصحابُ المنزلة العليا، وأنَّ غيرَ الصّالحين في المنزلة الدُّنيا، مهما كانت أحوالُهم في أسباب المادّة والقوّة، فَهُمْ في مرتبة الدونيَّةِ في مقابل المرتبة العلويّة.

دلالة تقديم ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾:

الـثَّـنـاءُ عـلى الصّالحين من بـنـي إسـرائـيـل وإنصافُهم

تقدَّم ذِكْرُ ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ في الآية من باب تحفيزِهم على العمل الصّالح، وللإشارة إلى إنصافِهم بتقديم ذِكْرِ أصحاب الفضل

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 415/5.

والمنزلة؛ بكونهم أهلَ الصلاح فيهم ممّن تمسَّك بشريعة موسى والمصدِّقين للأنبياء المبعوثين من بعده، ولِيتَّفِقَ كذلك مع تقديم البلاء بالحسنات على البلاء بالسّيئات.

الموقع النحويُّ لقوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾:

انتصب ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ على الظَّرفية؛ وصفًا لمحذوفٍ دلَّ عليه قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: (ومنهم فريقٌ منحطٌّ عن الصالحين)[1].

نُكْتَة التّعبير باسم الإشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾:

الإشارة للصّالحين باسم الإشارة للبعيد يأتي لعلوِّ منزلتهم عن غيرهم

المشارُ إليه هنا هم الصالحون، والمعنى: ومنهم فريقٌ دون الصّالحين، فأفاد اسمُ الإشارة المستعمَلُ للبعيد تنزيلَ البُعْدِ المعنويِّ في الدّرجة منزلةَ البُعدِ الحسّيِّ؛ لتفخيم شأن الصّالحين ورفْعِ منزلتِهم عن غيرهم.

معنى الواو في ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ ودلالتها:

صوَّرَتِ الآيةُ أحوالَ بني إسرائيل المختلفةَ

الواو عاطفةٌ، عَطَفتْ قولَه: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ على ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ويفيد هذا العطفُ اشتراكَ العاطفِ والمعطوفِ في كونِهما من النِّعَم أو النِّقم لبني إسرائيل، وذلك بحسب مفهوم التّقطيع لهم، وعلى كلِّ الأحوال فهو عطفُ حالةٍ على حالة أخرى من أحوالهم. ويصبح المعنى: أي عاملناهم معاملَةَ المبتَلَى الممتحَن تارةً بالنِّعم الكثيرة كالصحة والخِصْب وسَعة الأرزاق، وتارةً بالنِّقَم المتنوعة كالجَدْبِ والأمراض والشدائد؛ لعلَّهم يَرجِعون إلى طاعة ربهم، ويَتركون ما نُهوا عنه من المعاصي والسيئات[2].

معنى الباء في ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾:

الباءُ للسَّببيَّة؛ فقد تحقَّقَ البلاءُ فيهم، وظَهَرتْ مختلِفُ أحوالِهم بسبب الحسنات والسّيئات[3].

(1) الدّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 70/3.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 414/5.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 158/9.

معنى (ال) في: ﴿بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾:

مظاهر البلاء في الخير وفي الشرّ كثيرة لا تنتهي

(أل) جنسيّةٌ استغراقيّةٌ تَعمُّ كلَّ ما يَصلح أن يكون حسنةً أو سيّئةً؛ إذ إنَّ الحسنات والسّيئات هي تفصيلٌ للبلوى التي عامَلَهُم بها، وهي غيرُ محدودةٍ بحدٍّ، فتشملُ البلاءَ بالنِّعَم التي لا تُحصى ولا تُعدّ، وتشملُ كذلك البلاءَ بالنِّقَم وهو لا نهايةَ له.

نكتةُ تقديمِ البلاءِ بالحسنات على السّيئات:

يقتضي المقامُ تقدُّمَ أحدِهما على الآخر مع مَنْعِ خلوِّ الأمرِ من أحدِهما أو كلَيْهِما

تقدَّمَ البلاءُ بالحسنات على البلاء بالسَّيِّئاتِ في هذا الموضع؛ لأنّه جاء في سياق الحديث عن النِّعَم التي أنعمَها الله تعالى على بني إسرائيل، وجُلُّ هذه النِّعَم كان بالحسنات، فَضْلًا عن أنّه تقدَّمها قوله ﴿مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾، فتناسبا في تقديم ما تتشوَّقُ إليه النّفسُ. لكنّه في موضعٍ آخَر قدَّم البلاءَ بالشرِّ على البلاء بالخير؛ وذلك حتّى تكتملَ صورةُ البلاء في القرآن، فقد يَسبِقُ أحدُ البلاءَيْن الآخَرَ، ولكنَّ الأمرَ لا يخلو من أحدِهما، فطبيعةُ البلاءِ مانعٌ من خلوِّ أحدِهما عن الظّهور أو اجتماعهما معًا – فقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: 35]، ولا يخفَى هنا أنّ ذِكْرَ الموتِ استَلْزَم تقديمَ الشرِّ لما جُبِلَتْ عليه أغلبُ النّفوسِ من كراهيةٍ لذِكْرِ الموتِ، ورغبةٍ في الخلود.

نكتةُ فَصْلِ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ عن سابقتها:

استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ

جملةُ: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ جملةٌ تعليليَّةٌ وقعتِ استئنافًا بيانيًّا، جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ: لِمَ فُعِل بهم ما فُعل؟ أي: رجاء أن يتوبوا، أي: حين يذكرون مدَّة الحسنات والسَّيئات، أو حين يرون حُسْنَ حالِ الصّالحين وسوءَ حالِ مَن هم دون ذلك؛ على حسب الوجهيْن المتقدّميْن[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 158/9.

غرض التّعبير بالحرف الدّالّ على الرّجاء:

لا يخلو حرفُ (لعلّ) من بقاء معنى الرّجاء فيه

عبَّر القرآن بـ(لعلّ) وهي حرفٌ مشبّهٌ بالفعل مفيدٌ للتوقُّع وللتَّرجّي أو الإشفاقِ، مع أنّ الأمر المقترِن بحرف التَّرجِّي الذي يقول عنه القرآن مُحقَّقُ الوقوعِ لا يَتخلَّفُ عن مراد الله تعالى؛ لأنَّ (لعلَّ) من الله واجبٌ، وذلك لأنّ حرفَ الرجاء يحمل في طيّاته دعوةً لهم مشوبةً بالرّجاء أن يمتثلوا ويعودوا إلى الجادّة، فحرفُ الرّجاءِ يَجعل الأمر ظنّيًّا ويترك لهم حرّيةَ الاختيار وإطلاقَ المشيئةِ.وقد يكون (لعل) هنا مستعملٌ في التّمنّي لإبراز المتمنّى على أنّه مرجوُّ الوقوع.

غرض التّعبير بـ﴿يَرْجِعُونَ﴾:

دعـــوةَ بـنـي إسرائيل لمراجعةِ حالهم والتّحوّلِ عـن مـسـارِهـم إلى الامتثال لأمر الله تعالى

المعنى المحوريُّ لـ(رجع) تدور حول: تحوّلٍ عن الاتّجاه أو الحال إلى عكسه – كما يتردّد الماء في الغدير؛ لأنّه محتَبِسٌ فيه لا يَسترسِلُ بعيدًا، وكما يتحوّل الماء الصافي العذب المُرْوِيُّ إلى عَرَقٍ كريهِ الريح[1]. والمرادُ هنا تحوُّلُهم عن المعاصي ونقضِ العهود إلى التّوبة والامتثال والصّلاح، والتّعبيرُ بصيغة المضارعة تُفيد تجدُّدَ هذه الدّعوة لهم عند كلّ معصية قد يُقْدِمون عليها، وفي كلّ وقتٍ يمكن أن يفتحوا فيه قلوبَهم وآذانَهم لسماعِ الحقّ.

نُكتةُ حذفِ متعلّق ﴿يَرْجِعُونَ﴾:

الحذف لتعميم مـا يـمـكـن أن يتعلّق به

لم تبيّن الآية الكريمة مُتَعَلِّقَ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أَهُوَ الرّجوعُ عن المعاصي عمومًا، أمِ الرّجوعُ عن التَّحايل في الاصطياد في يوم السّبت، أمِ الرّجوعُ إلى الله عن غيره بالتَّوبة والصَّلاح، ولا شكَّ أنّ حذف المتعلِّقِ يعمُّ ذلك كلّه، وهو الأولى.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رجع).

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التَّفريق والتَّقطيع والتَّمزيق والتَّشييع:

بَيَّن صاحبُ "الفروق اللغوية" أنَّ التّفريقَ هو جعلُ الشيء مُفارِقًا لغيرِه، حتّى كأنّه جعل بينهما فَرْقًا بعد فَرْقٍ حتّى تَفارَقا[1]. وتقدَّم أنَّ التَّقطيعَ موضوعٌ لإزالة الاجتماع في الأشياء المتماسكة، الحسّيّة والمعنويّة، وإزالة الاجتماع في التَّقطيع أشدُّ وأقوى من التَّفريق. أمّا التَّمْزيقُ فهو في الأصل قَطْعُ الثّوبِ وتخريقُه[2]. أمَّا التَّشييع فهي أن يَنتسِبَ الرَّجلُ إلى جماعةٍ يميل إليها مَحبَّةً وتَعصُّبًا، وأصلُها من الشّياع وهي الحَطَبُ الدِّقاقُ الَّتي تُجعل مع الجَزْل في النّار؛ لتشتعلَ كأنَّه يجعلها تابعًا للحطب الجَزْل لتشرق[3].

لفظةُ التّقطيعِ كانتِ الأنسبَ في وصف ما جرى مع بني إسرائيل في هذا الموضع

وكلُّ مفردةٍ من هذه المفردات تأتي في موضعها الأخصِّ بها في القرآن لا تُشاركُها فيه غيرُها من الألفاظ المقارِبة، فالتَّقطيعُ تفرّقٌ مخصوصٌ يكون في الأشياء الصُّلبة، واستُعير هنا لتشبيه تفرُّقِهم به فيصعب اجتماعُهم بعدها، والتّمزيق نوعٌ مخصوصٌ من التّقطيع، وكان عقوبة لسبأ: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ [سبأ: 19] فهو تقطيعٌ إلى أشلاء وخروقات صغيرة، فهو أشدّ من التّقطيع، ولذا ناسَبَ وَصْفُ بني إسرائيل هنا بلفظة التّقطيع دون غيرها لاحتمال أن يكون هذا التّقطيع إلى أسباطٍ نعمةً أخرى مضافةً إلى نِعَمِهم السابقةِ.

الابتلاء والاختبار والفتنة:

الابتلاء هو الأنسبُ في المقام هنا؛ لأنّه أعمُّ في الدّلالة وكائنٌ في الخير وفي الشرّ

تقدَّمَ سابقًا معنى الابتلاء، وأمّا الفتنةُ فأصلُها من إدخال الذّهب بالنّار لتظهرَ جودتُه من رداءتِه، وجُعلتِ الفتنةُ كالبلاء في

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 170.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مزق).
(3) العسكريّ، معجم الفروق اللّغوية، ص: 312.

أنّهما يُستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدّةٍ ورخاء[1]. قال أبو هلال العسكريُّ في التفريق بين الفتنة والاختبار، هو: "أنَّ الفتنة أشدُّ الاختبار وأبلغُه، وأصله عَرْضُ الذَّهب على النّار لتبيِّن صلاحَه من فسادِه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: 13]. ويكون في الخير والشّرّ، ألا تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15]. وقال تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: 16 - 17]؛ فجَعَلَ النّعمةَ فتنةً لأنّه قَصَدَ بها المبالغةَ في اختبارِ المنعَم عليه بها، كالذّهب إذا أُريد المبالغةُ في تعرّف حالِه أُدْخِل النّار، واللّه تعالى لا يَختبر العبدَ لتغييرِ حالِه في الخير والشّرّ، وإنّما المراد بذلك شدّة التّكليف.

أمّا الفرقُ بين الاختبار والابتلاء: فهو أنَّ الابتلاء لا يكون إلّا بتحمُّلِ المكارهِ والمشاقِّ.

والاختبار: يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى أنّه يُقال: اختبَرَهُ بالإنعام عليه، ولا تقول: ابتلاهُ بذلك، ولا هو مُبْتَلى بالنّعمة، كما قد يقال إنّه مُختبَرٌ بها.

ويجوز أن يقال: إنَّ الابتلاءَ يقتضي استخراجَ ما عند المبتَلَى من الطّاعة والمعصية، والاختبارَ يقتضي وقوعَ الخبر بحاله في ذلك، والخبر: العلمُ الَّذي يقع بِكُنْهِ الشّيء وحقيقتِه، فالفرقُ بينهما بيِّنٌ"[2]. فلفظةُ الابتلاءِ هي الأنسبُ في المقام هنا؛ لأنّها أعمُّ في الدّلالة على سَعةِ الابتلاءِ، وأنّه كائنٌ في الخير وفي الشرّ.

(1) الرّاغب، المفردات: (فتن).

(2) العسكريّ، معجم الفروق اللّغوية، ص: 10، و12، و396.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»